'بعثية' المقاومة..دعاية رديئة لأيدلوجية فقدت مصداقيتها

06-7-2004

إن الحديث عن "بعثية" المقاومة العراقية، هو نوع من الدعاية الرديئة لأيديولوجية لم تعد تقنع أحداً في العراق، رغم الاعتراف بوجود عناصر من النظام السابق يشاركون في المقاومة، والسبب أن النظام السابق لم يكن حزبا فقط، وإنما دولة ومؤسسات يعمل فيها بشر يتراوحون بين أقصى اليمين وأقصى اليسار، ويندمجون على نحو ما في مؤسسة عمرها خمسة وثلاثون عاما.ولم يعد أحد يقاوم اليوم في العراق تحت راية حزب البعث وإيمانا ببضاعته "الأيديولوجية"، حيث أصبحت

بقلم عبدالله صالح

يعتقد البعثيون أن لديهم منهاجا إستراتيجيا للمقاومة ضد الاحتلال الأمريكي، مؤكدين على أن المقاومة في العراق هي مقاومة بعثية، وليست إسلامية كما روج الكثيرون. فالمقاومة الإسلامية، حسب رأيهم، هي مقاومة طائفية لن تحظى بدعم أطياف الشعب العراقي الأخرى، فضلا عن مخاطر تكريسها للانقسام بين طوائف الشعب العراقي. ومادامت المقاومة العراقية بلا رموز معلنة، فإن الساحة أصبحت مفتوحة أمام كل من يدعى احتكار المقاومة والحديث باسمها.

وقد نقلت صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية عن مسئولين في الإدارة الأمريكية وعن مسئول عراقي بارز قولهم أن شبكة من أبناء عم الرئيس العراقي السابق صدام حسين، والموزعين ما بين سورية والأردن متورطون في تهريب الأسلحة والأموال ، بالإضافة إلى تهريبهم لأشخاص إلى داخل الأراضي العراقية، وذلك لدعم المقاومة ضد قوات الاحتلال.وتشير الصحيفة إلى أن هذه الشبكة تتضمن على الأقل ثلاثة من أبناء عم صدام من عائلة المجيد، والمقيمين حالياً في سورية وأوربا، ومنهم عز الدين المجيد ، الذي عرف عنه تمويل العديد من أنشطة المقاومة ، وكاتب سليمان المجيد وهو ضابط سابق في جهاز الأمن الخاص.وتشير المصادر إلى أن الاستخبارات الأمريكية توصلت إلى هذه الشبكة عن طريق تتبع عمليات تحرك ونقل غير طبيعية للأموال والبضائع من وإلى سورية.

ومن جانب آخر، فقد نقلت صحيفة الجارديان البريطانية عن أحد كبار الضباط السابقين في الجيش العراقي قوله إن ضباط الجيش كانوا يعلمون أنه إذا قرّرت الولايات المتّحدة مهاجمة العراق, فلن يكون بمقدورهم التصدي لهم ومواجهة قوّتهم العسكريّة والتّكنولوجيّة، والتي لم تكن تقارن بامكانات العراق وقدراته العسكرية المحدودة، ولهذا فإن نتيجة هذه الحرب كانت محسومة مقدماً لصالح الولايات المتحدة, ولكنه ليس صحيحاً ما قيل في وسائل الإعلام عن أن الجيش العراقي تخلى عن مهمة الدفاع وباع وطنه، فقد قاتل الجيش والمقاومة العراقية ببسالة حتى عندما دخلت القوات الأمريكية وسط بغداد في الخامس من أبريل من العام الماضي، ليس من أجل صدام، ولكن من أجل الوطن ، ولكن بعد ذلك صدرت الأوامر بتفرق الجيش وإنهاء القتال.وسقطت بغداد في التاسع من أبريل ، واختفى صدام وجيشه من مسرح الأحداث.

وكما تنبأ الكثير من قادة الجيش العراقي ،فقد سقطت المناطق الاستراتيجيّة بسرعة تحت سّيطرة الأمريكيّين و حلفاءهم ، وقد كانت هناك بالفعل حركة منظمة لمقاومة الاحتلال. ولم يؤدى سقوط نظام صدام إلى اختلال استراتيجية هذه المقاومة ، بل إن الهجوم الشرس للقوّات الأمريكيّة في الفالوجة في مارس كان هو نقطة التّحوّل في استراتيجيتها ، فما قام به الجنود الأمريكيّين من أعمال سلب ونهب طبقًا لشهود

كثيرين ، والمعاملة المهينة للسجناء في أبو غريب بعد ذلك ، وما تم من اعتداءات جنسية وممارسات وحشية ضد العراقيين من جانب جنود الاحتلال ، كل هذا أدى إلى تزايد حدة الغضب لدى معظم العراقيين.وفقدت الولايات المتحدة ثقة الجميع ، ولن يكون بإمكانها استرداد هذه الثقة ثانية، فقد وضعت هذه الممارسات أمريكا وجنودها في نقطة اللاعودة.

وبعد مرور أكثر من عام على بداية الحرب في العراق , مازالت الفوضى تعم البلاد ، بسبب فشل قوات الاحتلال في السيطرة على الأوضاع الأمنية ، وعدم قدرة الولايات المتحدة على الوفاء بوعودها للعراقيين بتوفير السلام والديمقراطية ، بل على العكس ، فقد اكتسب الأمريكيون عداء جميع المواطنين ، ولم تعد المقاومة قاصرة على بضعة آلاف من النشطين ، ولكنها أصبحت تشمل 75% على الأقل من سكان العراق ، ممن أصبحوا منخرطين في المقاومة ، سواء بصورة مباشرة ، أو من خلال دعم رجال المقاومة بالمعلومات ومساعدتهم في إخفاء الأسلحة والعناصر المطلوب اعتقالها ، رغم ما يتعرض له الكثير من المدنيين من أضرار من جراء العمليات التي تنفذ ضد قوات الاحتلال وعملائه.

وقد أصبح معظم رجال المقاومة العراقيين ينظرون إلى كلّ عراقيّ أو أجنبيّ يعمل لدى قوات الاحتلال باعتباره عميلاً لها ، ومن ثم يصبح هدفاً لعملياتهم ، ويشمل سجل هؤلاء العملاء، المستشارين العاملين في الوزارات ، المترجمون، رجال الأعمال، وحتى الطّبّاخون، والخدم..ليس مهماً درجة التعاون مع الاحتلال ، فمجرد قيام شخص بتوقيع عقد عمل مع قوات الاحتلال ، فإن هذا يعنى كتابة شهادة وفاته ، هؤلاء هم الخونة في نظر رجال المقاومة. وقد أدّى تزايد المقاومة العراقية إلى تقلص قائمة المرشحين للوظائف الحكومية المطلوبة من جانب قوات الاحتلال، وهذا في بلد أنهك عبر 13 سنة من الحظر وخاض حربين، نجم عنهما مزيداً من تردى الأحول المعيشية، وتزايد معدلات الفقر والبطالة. ولم تكن الفوضى التي تعيشها البلاد هي السّبب الوحيد الذي يمنع الكثيرين من استئناف نّشاطهم المهنيّ والوظيفي.

وتدعى المقاومة البعثية أنها تشكل الفصيل الرئيسي للمقاومة في العراق، وأنها تضم مناضلين سنة وشيعة، وتسعى حالياً لتنظيم صفوفها وتوحيد عناصرها ، في مواجهة الاحتلال، وهم يقومون بإعداد الهجمات المنفذة ضد قوات الاحتلال بدقة ، ويعتمدون علي ترسانة الأسلحة الضخمة، التي تم إخفاؤها بمبادرة من صدام حسين قبل بداية الحرب في كافة أنحاء العراق، وهم لا يعتمدون على مدفعيّة ثقيلة، ولا على دبّابات، أو

الفلوجة..مدينة المجاهدين في العراق

16-7-2004

الحقيقة أن قادة المقاومة في الفلوجة يعتقدون أنهم إذا استطاعوا أن يطردوا القوات الأمريكية من الفلوجة، فإنه بإمكانهم أن يسيطروا على باقي العراق. وبالنسبة لهم، فإن إياد علاوى يمثل مصدر إزعاج مؤقت لهم، ولكنهم الآن مشغولون بطرد المحتل الأجنبي عن البلاد

مواد ذات علاقة

'بعثية' المقاومة..دعاية رديئة لأيدلوجية فقدت مصداقيتها

أصبحت مدينة الفالوجة، معقل حركة المقاومة السنية في العراق، أشبه بمدينة قندهار، معقل حركة طالبان في أفغانستان، حيث يسيطر على الفلوجة قادة الجماعات الإسلامية، وأتباعهم من المجاهدين، ممن يزيد عددهم على عشرة آلاف مقاتل حسا بعض المصادر، مسلحين بالعتاد، ويتحكمون في مصير نصف مليون شخص من أهالي المدينة، التي لا تبعد عن العاصمة بغداد بأكثر من خمسين كيلومتراً. وتتكون المقاومة

في الفالوجة من عدة جماعات مسلحة، كل جماعة لها أمير، يقود مجموعة من المقاتلين، يسيطرون على مداخل ومخارج المدينة، التي أصبحت محظورة على القوات الأمريكية منذ شهر مايو الماضي، في أعقاب فشل الحصار الأمريكي لها، والذي استمر قرابة الشهر.

وإلى جانب القادة المحليين وزعماء القبائل، فإن جميع قادة المقاومة هم أيضاً جزء من مجلس شورى المجاهدين، الذي تشكل في الشتاء الماضي، ويقوده اثنان من الأئمة هما عبدا لله جنابي، وظافر العبيدي، وهؤلاء الأئمة يمكن اعتبارهم بمثابة القادة الروحيين للمقاومة في الفالوجة. ويقود عبد الله الجنابي مجموعة تضم بعض رجال المقاومة العراقيين، وبعض المقاتلين المتطوعين من الدول العربية، وكان الجنابى من الأوائل الذين دعوا إلى المقاومة المسلحة ضد قوات الاحتلال الأمريكي خلال العام الماضي. أما ظافر العبيدي، والذي ينتمي إلي مسجد الحضرة المحمدية، فهو يتمتع بنفوذ أقوى من الجنابي، وفتاواه لها تأثير كبير على أتباعه.

لقد أصبحت الفالوجة هي معقل المجاهدين في العراق، حيث تتلقى عناصر المقاومة تدريباتها، وتخفي أسلحتها، ويتم الاتصال بالمقاتلين في الخارج، وتنظيم العمليات، التي يتم تنفيذها ضد أهداف عديدة في مدينة بغداد وحولها. وهناك عناصر مختارة من المجاهدين تقوم بدور حلقة الوصل بين المساجد في كل من الفالوجة وبغداد ومعظم عناصر المقاومة، كما بدأ مجموعة من الشباب في تلقي تدريبات مكثفة منذ مطلع عام 2002، حتى إن بعضهم أصبح خبيراً في استخدام العديد من الأسلحة والصواريخ جو ـ جو، التي أمكنهم تعديلها، بحيث يتم إطلاقها من على الكتف..

لقد رسم المجاهدون ملامح مدينة، أصبحت تحكمها قواعد الشريعة الإسلامية، وقد تكون المدينة خالية من الجنود الأمريكيين، ولكنها خاضعة لحصار غير رسمي من قبل جهاز المخابرات العراقي الذي أنشأه رئيس الوزراء إياد علاوي، وكذا عملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وهؤلاء الجواسيس يتم إعدام أي منهم على الفور إذا تعرف عليه أحد أفراد المقاومة العراقية.

وهناك الآن ما يبدو وكأنه موسم اختطاف الأجانب والعملاء وقتلهم في الفالوجة، ولم يسلم بعض أهالي الفلوجة من الاتهام بالخيانة والتجسس لصالح قوات الاحتلال، حيث تم القبض على أكثر من ثلاثين عميلاً للولايات المتحدة خلال الثلاث أشهر الماضية، حيث تواجه عمليات الخيانة والتجسس باستهجان واسع من جانب سكان المدينة.

لقد أصبحت أحكام الشريعة الإسلامية تطبق على نصف مليون عراقي يعيشون في الفلوجة وضواحيها. فعلى امتداد طريق الرمادي ـ الفلوجة المزدحم، كان الشباب العاطل عن العمل معتاداً على الجلوس لشرب البيرة والخمور، وتبادل الأحاديث عن كرة القدم والنساء، ولكن المجاهدين بعد انتصارهم على قوات البحرية الأمريكية وسيطرتهم الفعلية على مدينة الفلوجة، قاموا بتوزيع بعض عناصر المقاومة على أرجاء المدينة لردع هؤلاء الشباب عما يقومون به من أفعال مستهجنة، تأكيداً لهم ولغيرهم على أن الأمور قد تغيرت، وأن المجاهدين لن يسمحوا حتى للأجانب أن يشربوا الخمر.

وهكذا صارت مدينة الفلوجة أشبه بمدينتي كابول وقندهار في أفغانستان في أواخر التسعينات، حيث أصبحت المدينة تحكم بقوة السلاح، ومن خلال الدعم الكامل

للمساجد، أما الأمريكيون فهم متمركزون خارج الفالوجة في قاعدتين عسكريتين ببلدة الصقلاوية القريبة من المدينة. وتطلق المقاومة العراقية صواريخها على القواعد الأمريكية بصورة شبه يومية، وذلك رداً على الغارات التي تقوم بها قوات الاحتلال، وتقتل العشرات من المدنيين العراقيين، حيث تواصل القوات الأمريكية، بدعم ومساندة إياد علاوي، قصف الفلوجة بالصواريخ والقنابل الثقيلة. ورغم استعانة الولايات المتحدة ببعض العناصر البعثية من الجيش العراقي السابق بغرض السيطرة على الأوضاع في المدينة، فإن هذه الخطوة فشلت، وبقيت المدينة تحت السيطرة الكاملة للمجاهدين.

لقد أصبحت كل مداخل الفلوجة تحت سيطرة المجاهدين، الذين يتحكمون أيضاً في رجال الشرطة العراقية، ممن تلقوا تدريباتهم على يد الأمريكان، ولا نبالغ إذا قلنا إن معظم الرجال أصبحوا مجاهدين، إما في الحرس الوطني العراقي، أو في الشرطة العراقية، وحتى في أوساط الشعب العراقي بأكمله.

كما أن السلطة العسكرية للبعثيين في الفالوجة أصبحت تحت سيطرة اثنين، وهما جاسم محمد صالح، القائد الأول للواء الفلوجة، وعبد الله حامد، وعلى خلاف ما توقعت مخابرات رئيس الوزراء علاوي، فإن القوات المسلحة البعثية في الفلوجة، لم تقيد نفوذ المجاهدين، بل الذي حدث هو العكس، حيث انضوى البعثيون تحت راية المقاومة وخضعوا لأوامر قادة الجهاد.

ويدافع الإمام مهدى الصمدي، الزعيم السلفي الذي قضى خمسة أشهر في سجن أبو غريب، بدعوى وجود أسلحة مخبأة في مسجده، والذي يعد بمثابة القائد الديني للمقاتلين السنة في كافة أرجاء العراق، يدافع عن المقاومة العراقية المسلحة ضد قوات الاحتلال، باعتبارها الوسيلة الوحيدة المتاحة أمام العراقيين لإخراج المحتل المعتدي، مشيراً إلى ما حققته المقاومة العراقية من نجاحات وامتدادها خلال عام واحد من بعض الأفراد إلى بعض المدن العراقية..ويشير جاسم العيسوي، المتحدّث باسم المجلس السلفي والصوفيّ في العراق، إلى أن العالم يرفض محاكمة وإدانة جرائم الحرب الأمريكية، في حين يتهم بعض العراقيين بأنهم إرهابيون لمجرد أنهم يقاومون قوات الاحتلال الأمريكي، ويؤكد أن المقاومة في الفلوجة قد أثبتت أن آلة الحرب الأمريكية قابلة للاختراق، وأن المقاومة المسلحة فقط هي التي تستطيع إنهاء الاحتلال العسكري الأجنبي.

ومن وجهة النظر السلفية، فإن المقاومة العراقيّة عبارة عن ائتلاف من السلفيين، والصوفيين، والبعثيين، وزعماء القبائل، بدون قيادة موحدة، ولذا تبدو درجة التنسيق فيما بينهم ضعيفة جداً، بخلاف الشورى في الفلوجة. ويعترف السلفيون بحقيقة وجود مقاتلين أجانب في العراق، ولكنهم يقولون إن عددهم لا يزيد عن بضع عشرات من الأخوة العرب والمسلمين، وأنهم مجرد قطرة في محيط المقاومة.

ولكن ما الأهمية التي تمثلها الفلوجة؟ الحقيقة أن قادة المقاومة في الفلوجة يعتقدون أنهم إذا استطاعوا أن يطردوا القوات الأمريكية من الفلوجة، فإنه بإمكانهم أن يسيطروا على باقي العراق. وبالنسبة لهم، فإن إياد علاوى يمثل مصدر إزعاج مؤقت لهم، ولكنهم الآن مشغولون بطرد المحتل الأجنبي عن البلاد، وعندما يتحقق ذلك، فإن الساحة ستصبح مهيأة أمامهم إلى فرض سلطة شعبية، بالنظر إلى عدم قدرة الحكومة

على السيطرة على مقاليد الأمور، فضلاً عن افتقادها الشرعية، وعدم رضاء الشعب عن توجهاته.
مروحيّات، ولكنّ على مدافع الهاون والألغام المضادّة للدّبّابات, والقاذفات الصّاروخيّة و قواعد إطلاق الصواريخ ، ولديهم احتياطيّات كبيرة من كافة أنواع الذّخيرة ، لكنّ السلاح الأكثر فاعليّة يظل هو الانتحاريّين المدربين بشكل جيد, والذين لا يحتاجون أكثر من أمر شفهيّ لقيادة مركبة محمّلة بالموادّ المتفجّرة.

إن الحديث عن "بعثية" المقاومة العراقية، هو نوع من الدعاية الرديئة لأيديولوجية لم تعد تقنع أحداً في العراق، رغم الاعتراف بوجود عناصر من النظام السابق يشاركون في المقاومة، والسبب أن النظام السابق لم يكن حزبا فقط، وإنما دولة ومؤسسات يعمل فيها بشر يتراوحون بين أقصى اليمين وأقصى اليسار، ويندمجون على نحو ما في مؤسسة عمرها خمسة وثلاثون عاما.ولم يعد أحد يقاوم اليوم في العراق تحت راية حزب البعث وإيمانا ببضاعته "الأيديولوجية"، حيث أصبحت شعبية حزب البعث في جميع الأوساط بالعراق تكاد تقترب من حدود الصفر، بل إننا نؤكد أن المقاومة العراقية هي إسلامية الطابع في معظمها، وأن إسلامية المقاومة في العراق هي واحدة من أهم ركائز استمرارها وفاعليتها في مواجهة الاحتلال الأمريكي، بسبب الواقعية والعقلانية التي يتسم بها من يقاومون، وكذلك من يتعاونون معهم ويقدمون لهم الدعم. فضلاً عن أن إسلامية المقاومة تمنحها مزيداً من المساندة الشعبية من جانب الشعب العراقي.